هو العليم

معنى قراءة القرآن و تفسير رواية اقرأ و ارق

مقالة مستفادة من الجلسة رقم ١٨ من محاضرات شرح حديث عنوان

البصري

لسماحة آية الله السيّد محمد محسن الحسيني الطهراني رضوان الله عليه

@MadrastAlwahy

أعوذُ باللهِ منَ الشّيطانِ الرّجيم

بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيم

الحمدُ لِلّه ربِّ العالمينَ و الصّلاةُ و السّلامُ على أشرفِ المرسلينَ

وخاتمِ النّبيّينَ أبي القاسمِ محمّدٍ و على آلِهِ الطّيّبينَ الطّاهرينَ

واللعنةُ على أعدائِهم أجمعين

لقد جاء في وراية حول القرآن أنّه يقال للإنسان يوم القيامة: إقرأ وارقَ[1]

وليس المراد من هذه الرواية حفظ ظاهر القرآن وألفاظه، حيث يمكن أن يُحفظ القرآن ويسجّل في المسجّل أيضًا، بل المراد هو أنّ كلّ إنسان إنّما يقترب من

[1] الكافي، ج ٢، ص ٦٠٦.

حقيقة القرآن بمقدار ما حقّق في وجوده من معانيه العالية الراقية.

فآيات القرآن الكريم تتمحور حول موضوعات مختلفة كالأحكام والأخلاق والتربية والتكامل، وعلى الإنسان أن يتأمّل أنّه إلى أيّ حدّ ومرتبة عمل بهذه الآيات والسور وحقّقها في وجوده.

فمن باب المثال يجعل الله للمؤمنين في ختام سورة الفرقان أربع علامات منها هاتان الآيتان:

﴿وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً ۞ وَ الَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِياماً﴾.[1] فكم عملنا نحن بهذه الآيات في الواقع؟! فنحن أمام الآخرين نظهر تواضعنا ونقول كذبًا: "لسنا شيئًا" ولكن لو أنّ أحدًا قال لنا ذلك بصراحة لا يمكننا أن نحتمل ونودّ لو نقطّعه إربًا إربًا. وأثناء البحث العلمي وبيان المطالب نتظاهر بالتواضع، ولكن لو أنّ أحدًا اعترض على ما طرحنا نتأذّى. فمن المعلوم إذًا أنّا

[1] سوره فرقان (٢٥) آيه ٦٣ و ٦٤.

نكذب وقولنا وعملنا نفاق ومجاز، ولا نعمل حتّى بالجانب الظاهر من هذه الآية، فضلاً عن مراتبها العالية.

لقد أنزل اللَه تعالى كافّة قصص القرآن أيضًا لأجل أن نعتبر أنا وأنت، والمراد من بيان قضايا النبيّ يوسف والمراتب التي حصلت له وليعقوب ليس مجرّد حكاية القصص.

فالنبيّ يوسف يقول في السجن للرجل الذي صار صاحبًا للسلطان وساقيًا له: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾؛[1] فإذا ذهبت إلى الملك فقل له: إنّهم ألقوني في السجن بريئًا.

فأنساه اللَه ذكر تلك الوصيّة بضع سنوات، في حين كان النبيّ يوسف يتوقّع الحريّة والفرج في كلّ يوم. فعلى صاحب الملك أن ينسى سبع سنوات لكي يتكامل يوسف، وعندما أدرك يوسف جيّدًا ونضج واكتمل تذكّر ذلك الرجل يوسف.

لم يكن اللَه ليترك النبيّ يوسف في السجن ثانية واحدة عبثًا، فكما أنّ عليه أن يبقى في السجن ما لم يصلح حاله،

---

[1] سوره يوسف (١٢) آيه ٤٢.

فكذلك إذا ما وصل إلى تلك المرتبة ينبغي أن لا يبقى في السجن ثانية واحدة.

ومن جهة أخرى فإنّ على النبيّ يعقوب أيضًا أن يحترق في فراق يوسف لسنوات لكي يصل إلى التكامل! فاللَه بحجر واحد يرمي آلاف الطيور، غاية الأمر أنّه لا يدرك ذلك إلا القلب الذي ليس غافلاً.

كان المرحوم العلامة الطهراني رضوان اللَه عليه يقول:

"على السالك أن يلتفت بعينه وأذنه وبكلّ حواسّه إلى ظرائف الطريق وإشاراته واحدة واحدة.

هو نفسه كان كذلك، في السفر الذي تشرّفت فيه بزيارة كربلاء في خدمته، كنّا نصغي نحن أيضًا إلى كلمات المرحوم السيّد الحدّاد، ولكن بعد ذهاب السيّد الحدّاد كنت شاهدًا أنّ المرحوم الوالد كان يستخرج من جيبه دفترًا صغيرًا ويكتب النقاط اللطيفة لأستاذه معبّرًا بـ: حضرة السيّد روحي فداه[1] وكان يكتب مطالب لم نكن

[1] ولا يزال مقدار من هذه المنقولات موجودًا الآن في الموسوعة الخطيّة.*

نلتفت إليها، والآن ندرك كم هي عجيبة النكات التي فيها! لقد كان يقوم بذلك من كان له خمسون مريدًا، وكان مريدو السيّد الحدّاد تحت نظره أيضًا، تلك الشخصيّة التي كان حاكمًا عليها «إقرأ و ارقَ» في كافّة أوقاتها وحركاتها وسكناتها.

أجل فبقدر ما نطبّق آيات القرآن تلك في وجودنا، فإنّ حقيقته أيضًا ستتحقّق فينا. وهذا العمل والتحقّق بحقيقته يؤدّي إلى إيجاد الاستعداد للترقّي إلى مرتبة أعلى من القرآن، أمّا عند عدم العمل بآيات الله فإنّها تغدو حجابًا تمنعنا من الحركة اللاحقة.

يسأل في يوم القيامة عن مقدار عمل الإنسان بمعنى القرآن، فلو أنّ أحدًا كالإمام عليه السلام عمل بكافّة مضامين القرآن، فقد وصل إلى البطون السبعين كلّها وإلى حقيقته المطلقة. وإذا ما قنع من العمل بأقلّ من مائة في المائة فإنّه يكون قد حصل على ذلك المقدار من حقيقة القرآن المطلقة.

(*) راجع مطلع انوار، ج ٢، ص ١١٩- ١٧٩.

في رواية عن ابن الكوّا يسأل فيها أمير المؤمنين حول مزايا بعض أصحاب النبيّ صلّى اللَه عليه وآله وسلّم (عبد اللَه من مسعود، أبي ذر، سلمان، حذيفة، عمّار) وهو يجيب، وقد قال الإمام حول عبد اللَه بن مسعود:

«قَرَأَ القرآنَ ثمَّ وَقَفَ عندَه»[1]

لقد كان ابن مسعود شيعيًّا وقارئًا للقرآن وكان ذا صوت حزين وجميل، وفي كثير من الأوقات كان رسول اللَه يناديه ويقول: «اقرأ عليّ» يا ابن مسعود القرآن! فكان يقرأ بصوت حزين، فينهمر الدمع من عيني النبيّ[2] ولكنّ حدّه وحظّه فقط كان في مستوى القراءة.

ثمّ يسأل ابن الكوّاء في هذه الرواية عن سلمان ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«أدركَ علمَ الأوّلِ و الآخِرِ و هو بَحرٌ لا ينزَح»[3 و 4]

---

[1] الأمالي (صدوق) ص ٢٥٢؛ روضة الواعظين، ج ٢، ص ٢٨١؛ معرفة الإمام، ج ٤، ص ١٥٤.

[2] بحار الانوار، ج ٨٩، ص ٢١٦.

[3] أي هو بحر واسع لا ينتهي ماؤه.

[4] تفسير روض الجنان، ج ١٠، ص ٢٥٠.

ولهذا الاختلاف في الرتبة سبب، فعلى الإنسان أن لا يقوم بما يغلق نافذة الفيض والمعارف عنه، وعليه أن يطبّق الظروف التي تحدث على ذكر اللَه. [1]

[ملاحظة: لقد تم انتخاب هذه المقالة من محاضرة شرح حديث عنوان البصري ـ الجلسة رقم ١٨ لسماحة آية اللَه الحاج السيّد محمد محسن الحسيني الطهراني رضوان اللَه عليه ، وقد تمّ توثيقه ومقارنته مع المصدر الفارسي من قبل الهيئة العلميّة في لجنة الترجمة والتحقيق، و تجدر الإشارة إلى أنّ عنوان البحث والعبارات و الهوامش التي وقعت بين معقوفتين هي من الهيئة العلميّة]

[1] مقطع من محاضرة عنوان البصري ١٨.